اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة : الصفدي (حياته ونثره).

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

الاسبوع : الرابع عشر .

صلاح الدين الصفدي(٦٩٦ – ٧٦٤ هـ) :

هو صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله ولد في صفد سنة ٦٩٦ للهجرة ، كان والده ثرياً من أمراء المماليك ، فعاش الابن في رغد العيش ونعيمه.

تعلم القراءة والكتابة في مسقط رأسه، وكانت له موهبة عظيمة وبراعة فائقة في الرسم والخط. ثم رحل في طلب العلم إلى دمشق والقاهرة وقرأ على العلماء المشهورين والأدباء المعروفين أمثال : شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، أخذ عنه الأدب، وكذلك الشاعر المشهور ابن نباتة المصري (ت٧٦٨) ، ولازم فتح الدين بن سيد الناس اليعمري (ت٧٣٤هـ) وأخذ عنه المغازي والسير ، وأخذ النحو عن أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ودرس الفقه على القاضي بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) والحافظ يوسف بن عبدالرحمن المزي (ت٧٤٢هـ) وتقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ)، وأخذ التاريخ عن أبي عبدالله شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) تولى كتابة الدرج في ديوان الإنشاء بصفد ، ثم انتقل إلى القاهرة للعمل نفسه ، وديوان الانشاء آنذاك يتألف من كاتب السر ، وكاتب الست الذي يتولى التوقيع على الكتب الواردة في غياب كاتب السر . وكاتب الدرج هو الذي يتولى تحرير الكتب .

وكان رجلا حسن العشرة ، ذا مروءة ، محببة إلى كل أصدقائه وزملائه ورؤسائه، يجلس في جامع دمشق للإفادة والتدريس إلى جانب اشتغاله في الوظيفة . ، وحينما كبر ثقل سمعه ، وتوفي بمرض الطاعون في دمشق ، ليلة العاشر من شوال سنة ٧٦٤ للهجرة .

آثاره :

برع الصفدي في التصنيف والتأليف ، قيل : إن مؤلفاته بلغت مئتين من المجلدات ، وقال ابن تغري بردي: ((كان إماما بارعا كاتبا ناظما ناثرا شاعرا ، وديوان شعره مشهور بأيدي الناس ، وهو من المكثرين ، وله مصنفات كثيرة في التاريخ والأدب والبديع وغير ذلك)). وقال ابن العماد الحنبلي : «وقفت على ترجمة كتبها الصفدي لنفسه نحو كراسين ، ذكر فيها أحواله ومشايخه وأسماء مصنفاته ، وهي نحو الخمسين مصنفة منها ما أكمله ، ومنها مالم يكمله» . ومن كتبه المطبوعة :

١- **الأرب من غيث الأدب :** وهو شرح موجز لقصيدة الطغرائي اللامية .

٢- **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب .**

٣- **تشنيف السمع بانسكاب الدمع .**

٤- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون.

٥ - توشيع التوشيح .

٦- جنان الجناس .

٧- وصف الزلال في وصف الهلال .

٨. قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة .

٩- الغيث المسجم في شرح لامية العجم .

١٠ - لوعة الشاكي ودمعة الباكي .

١١ - نصرة الثائر على المثل السائر .

١٢ - نكت الهميان في نكت العميان .

١٣ - الوافي بالوفيات . ويعد من أكبر كتب التراجم في ثلاثين مجلدا جمع فيه تراجم الأعيان ، ونجباء الزمان ، ممن وقع عليه اختياره ، فلا يغادر أحدا من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء والأولياء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء، و الحكماء وأصحاب النحل والبدع، والآراء وأعيان كل فن ؛ ممن اشتهر أو أتقن إلا ذكره.

ومن كتبه الاخرى التي حُققت مؤخراً ، فهي : أعيان العصر وأعوان النصر، جعله لتراجم مشاهير القرن الثامن للهجرة إلى أيامه . اختراع الخراع ، وهو شرح مفصل لأشعار وتعليقات في علوم اللغة والعروض . ألحان السواجع من المبادي و المراجع.

ومن كتبه المخطوطة التذكرة الصفدية ، وهو كتاب كبير جدة فيه كثير من الفوائد التاريخية والاجتماعية وكثير أيضا من تراجم الشعراء والأدباء .

ومن آثاره الاخرى : تصحيح التصحيف. وتحرير التحريف . جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة . الحسن الصريح في مئة مليح . ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء. رصد الزلال في وصف الخال . رموز الشجرة النعمانية. الشعور بالعور . طرد السبع عن سرد السبع . الحرف الندي في شرح قصيدة ابن الوردي . عبرة اللبيب بعشرة الكئيب . فض الختام عن التورية والاستخدام . كشف الحال في وصف الخال. كشف السر المبهم في لزوم مالا يلزم . منشآت الصفدي المنتقى من المجاراة والمجازاة . المحاورة الصلاحية في الأحاجي الاصطلاحية . الهول المعجب في القول الموجب.

نثره وأسلوبه :

كان الصفدي أديبا بارعا ، وشاعرا مجيدا ، وناقدا ذكيا ، ومؤرخا دقيقا .. وكان كثير التأليف في مختلف المعارف ، لم يقف قلمه عن الكتابة طوال حياته ، قدم فيها ذخيرة طيبة ، نافعة للأجيال ، لازالت الدراسات الأكاديمية تعنى بها وتضعها بين أيدي القراء .

وقد جاءت كتاباته على نمطين مختلفين ، الأول مرسل لا قيود فيه للصنعة والثاني متكلف يغلب عليه السجع والبديع ، ومثال من النوع الأول قوله معلقا على بيت الطغرائي :

(فيم الإقامة بالزوراء لاسكني بها، ولا ناقتي فيها ولا جملي)

والزوراء : بغداد ، سميت بذلك لانحراف . قبلتها ، وفي بغداد لغات : بغداد ، بذال معجمة أخيرة ، وبذالين معجمتين و بدالين مهملتين ، وبغدان بنون بدل الدال الأخيرة. ومن أسمائها دار السلام ، وفي تسميتها بذلك قولان ، أحدهما أن السلام اسم لدجلة ، والآخر أنه يسلم فيها على الخلفاء ويقال : إن اسمها بك دار ، ومعني بك بالتركية الرب ، ودار العدل) فإنهم قالوا : الله العادل ، و يقال غير ذلك . وهي بلدة أحدثها المنصور من بني العباس سنة أربعين ومائة ، ونزلها في سنة ست وأربعين ، وفي سنة تسعة وأربعين تم جميع بنائها . وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث : وبغداد الثانية هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء . وبغداد عبارة عن سبع مجلات لا تفتقر محلة منها إلى غيرها على شاطي دجلة من الجانب الشرقي . فالأولى الرصافة ، بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة إحدى وخمسين ، وهي مدينة مسورة ، والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة ، والثالثة جامع السلطان غير مسوَّرة ، والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة ، وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام . والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسورة والسادسة دار القز مسورة يقال : إن المنصور سأل راهبة كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها : أريد أن أبني ههنا مدينة فقال إنما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق ، فضحك وقال : أنا هو . وقيل : إنما قال له يبنيها ملاك يقال له مقلاص ، فقال له : أنا كنت أدعى بذلك فاختطها ، وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوافق ، فسمي الدوانيقي».

بهذا الأسلوب السردي الواضح سار الصفدي في كثير من تأليفه. أما النمط الثاني الذي عمد فيه إلى الصنعة فنجده في مقدمات كتبه وفي رسائله و مقاماته ، من ذلك قوله في مقامته «لوعة الشاكي ودمعة الباكي» :

خرجت في بعض الأيام متفرجة وسارحة ، وجائلا بطرف الرياض وسائحة وصحبني صديق لي في المحبة صادق، ورفيق لي فيما أروم موافق ، قد ملاك

كل حسن ولطافة ، وجمع كل حذق و ظرافة ، ينتصب لخدمتي لا يملُّ ولا يسأم ، ويتعصب في مرضاتي لا يكل ولا يندم ، و يجتهد في موافقتي لا يكلُّ ولا يندم ، ويجتهد في موافقتي لا يمنُّ ولا ينم ، ويحسن موافقتي فلا يذمُّ ولا أذم).

ومن مقدمات كتبه نأخذ ما قاله في افتتاحية كتابه توشيع التوشيح :

((أما بعد حمد الله تعالى على نعم وشَّع برودها ، ووشح بالجواهر قدودها، ووشى رياضها لما طبع نقوشها ونقودها ، وصلاته على سيدنا محمد الصادق وعده ، السامق مجده ، السابق إلى حوض يسر المؤمن ورده ، على آله وأصحابه أولي المفاخر ، والجود الذي أخجل البحار الزواخر، والسادة الذين بذوا الأوائل والأواخر ، وسلامه إلى يوم الدين . فاني نظرت يوما فيما اتفق يوم لي نظمه من الموشحات ، ونسجته د ن برودها الموشعات ، فوجدتها جملة جميلة ، وعدة تضاهي زواهر السماء ، و تباهي أزاهر الخميلة ، إلا إنها في التذكرة ضائعة ، ونفحاتها في اماكن متفرقة ضائعة فآثرت جمعها في ديوان يضم شملها الشتيت ، وسلك يفيد الملتقط جوهرها ولا يفيت . مع علمي أنها ليست مما يجمع ، ولا من النظم الذي يسمع ، ولكن كل حيوان يعجبه طنين رأسه ، ويقع في هؤلاء الإعجاب بنفسه على أم رأسه)).

لقد أحب الصفدي الصنعة ، ومدح البديع ، وأطرى عليه ، ولا سيما الجناس، مثل قوله في مستهل كتابه جنان الجناس : ((وبعد ، فلما كان فن البديع في الزمن المتأخر أحسن بالدعوة وأوضح لمعة وأملح طلعة واكثر رواية وسعة ، به تبنى بيوت الشعر في أشرف بقعة وتبرز أبكار الأفكار منه في خلعة بعد خلعة ، وإذا كان الشعر بحر فهو من أعذب جرعة ، خصوصا ركن التجنيس الذي هو ركن شريعته و بيان شرعته ، وذيباجة صنائعه في صنعته ، وآية سجلته وغاية سجوته ، تشهاد الخطباء له بفضل جماعته وجمعته ، وتعترف الشعراء برفع محله و محل رفعته ، وتدخل به الألفاظ الفصيحة الأذن بغير إذن لشماعة حقه وحق شفعته ، فهو في البديع خال خده ، وطراز برده و فص خاتمه وجود حاتمه ، متى عد في القصيدة بيت كان الجناس طرازه ، ومتي طاف بالبلاغة متكلم كانت أركانه كعبته. وهكذا جارى الصفدي ذوق العصر ، فجاء نشره بين المطبوع والمصنوع)).